۱۶۵۸۹

مجله	رابطة العالم الاسلامی
تاریخ نشر	شوال ۱۳۸۴
شماره	۸ سال دوم
شماره مسلسل	
محل نشر	مکة مکرمة
زبان	عربی
نویسنده	محمود محمود الصواف
تعداد صفحات	۳۰ - ۳۴
موضوع سرفصلها	فاتحة الکتاب
کیفیت	
ملاحظات	

فاتحة الكتاب

لفضيلة الشيخ
محمد محمود الصواف

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين

نستفتح بسم الله ونبدأ بتفسير هذه السورة المعجزة التى ترجع اليها معانى القرآن الكريم ، وقد اشتملت على أهم أغراض هذا الكتاب العزيز . وهي ورد المسلم اليومي ، يتلوها في صلاته اثنتين وثلاثين مرة كل يوم ، وهي أم الكتاب ، والسبع المثاني ، والقرآن العظيم .

سورة تتكون من خمس وعشرين كلمة تحتوي مائة وثلاثة عشر حرفا ، ومع هذا الايجاز فهي معجزة من المعجزات ، وآية من آيات بلاغة القرآن وعظمة القرآن . هذا في مبناها أما في معناها فقد ضمت ما لا تضمه المجلدات الضخام من أسمى المعاني ، وأنبل المقاصد ، وأعلى الغايات .

ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم » .

وسماها ابن عباس رضي الله عنهما « اساس القرآن » كما سماها سفيان بن عيينه « بالواقية » وأطلق عليها يحيى بن كثير اسم « الكافية » لانها تكفى عما عداها ولا يكفى ما سواها عنها .

ومما جاء في بعض الاحاديث المرسلة : أم القرآن عوض من غيرها وليس من غيرها عوض عنها . ولقد ورد في فضلها آثار عديدة نكتفى منها بهذين الاثرين ففيهما الغنية والكفاية .

الاثر الاول :

وقد نقله الامام ابن كثير في تفسيره قال : قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده : روي عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : كنت أصلى فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه

حتى صليت قال : فأتيته فقال : ما منعك أن تأتيني ؟ ، قلت : يا رسول الله اني كنت أصلى قال : ألم يقل الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، ثم قال : لاعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، قال فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت : يا رسول الله انك قلت لاعلمنك أعظم سورة في القرآن ، قال « نعم ، الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أوتيته » وهكذا رواه البخاري رحمه الله .

الاثر الثانى :

ما رواه مسلم رحمه الله عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل . فاذا قال : « الحمد لله رب العالمين » قال الله حمدنى عبدى . فاذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله مجدنى عبدي . وقال مرة : فوض الي عبدي . فاذا قال : « اياك نعبد واياك نستعين . قال : هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل . فاذا قال : « أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » . قال الله : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل . وفي هذا السياق فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل .

المعنى العام للسورة :

لقد جمعت سورة فاتحة الكتاب أمهات المطالب القرآنية ، واشتملت على أهم مقاصده أتم اشتمال ، وتضمنت أسمى أغراضه أكمل تضمن . فقد اشتملت على التعريف بواجب الوجود ، والرب المعبود بثلاثة أسماء من أسمائه الحسنى جل وعلا بل هى مرجع الاسماء الحسنى كلها ، وعليها مدار صفاته العليا وهي « الله . الرب . الرحمن » .

وأثبتت الوحدانية المطلقة لله رب العالمين مرسل هذا الدين الذى هو دين التوحيد . وتضمنت اثبات يوم الحساب وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها، وتفرد الخالق المعبود والرب المقصود بالحكم فيما بينهم ، وسيكون حكمه بالعدل والقسطاس المستقيم وكل هذا تحت قوله تعالى : « مالك يوم الدين » .

وأثبتت السورة النبوات من عدة جهات أولها — قوله تعالى : « رب العالمين » فلا يليق به تعالى أن يترك عباده سدى وهملا لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، وما يضرهم فيهما . والثاني — من اسمه تعالى « الرحمن » فان رحمته تمنع اهمال عباده وعدم تعريفهم وهدايتهم الى ما به ينالون غاية كمالهم ومنتهى سعادتهم في الدنيا والآخرة . واقتضاء الرحمة لحفظ الابدان تضمنت انزال الغيث وانبات الكلأ واخراج الحب وتفجير الارض بالعيون واسالة الانهار وثمار الاشجار وتعمير

الامصار ، هكذا اقتضاء الرحمة لحفظ الابدان فاقتضاؤها لما تحصل به حياة القلوب والارواح أولى وأجدر من اقتضائها لحفظ الأبدان والاشباح الفانية . وحفظ القلوب والارواح وتعميرها لا يكون الا بالدين الذي جاء رسل الله عن ربهم ليقودوا العباد الى الرشاد ، ويصدوهم عن الغي والظلم والفساد ، ويطهروا قلوبهم من الحقد والغل والحسد ، وينسلوا أرواحهم من أدران المادية والفوضوية والانحلال .

وأثبتت السورة عبادة العباد لرب العباد ، وقصرت العبادة عليه وحده جل وعلا فلا معبود سواه ولا مستعان الا به « اياك نعبد واياك نستعين » وانه لا هادي لمن أضله الله ، ولا مضل لمن هداه الله . لذا خص طلب الهداية منه تبارك وتعالى : اهدنا الصراط المستقيم .

كما قصت علينا السورة أنباء السالفين من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . « صراط الذين أنعمت عليهم » .

وذكرت مقابل هؤلاء السعداء المهتدين . الضالين المضلين والمغضوب عليهم الملعونين المطرودين من رحمة الله من الكافرين والمشركين ، والمنافقين ، والظالمين ، وبئسما صنعوا وباطل ما كانوا يعملون .

هذه هي الاغراض العامة التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة التي هي ورد المسلم اليومي ، وهي هي الاغراض الكبرى التي احتواها كتاب الله العظيم ، وفصل فيها الكلام تفصيلا ، وأشارت اليها فاتحة الكتاب هذه الاشارات الموجزة المختصرة . فسبحان منزل الكتاب العظيم الذي عجزت الانس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

القول في الاستعاذة :

قال الله تبارك وتعالى : فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

وورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الليل فاستفتح صلاته وكبر قال : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول : لا اله الا الله — ثلاثا ثم يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ، ونفخه ، ونفثه .

قال عمر رضي الله عنه : وهمزه الموتة ، ونفخه الكبر ، ونفثه الشعر . وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة وليست بواجبة متحتمة بحيث يأثم تاركها .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره جزء ١ صفحة ١٥ : ان الاستعاذة طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث ، وتطييب له وهو لتلاوة كلام الله . وهي استعانة بالله

واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو الباطني المبين ، الذي لا يقدر على منعه ودفعه الا الله الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يداري بالاحسان .

والاستعاذة هي الالتجاء الى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر من الانس والجن ، ومن الهوام والدواب والبشر قال تعالى : وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » .

وفي مسند الامام أحمد رحمه الله عن أبي ذر رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر ، تعوذ بالله من شياطين الانس والجن » قلت : أو للانس شياطين ؟ قال : « نعم » .

وورد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به . فجعل يضربه فلا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال : ما حملتموني الا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي . والشيطان هو المتمرد البعيد ، تمرد على الله فمصاه . وبعد عن البشر بطباع الشر التي طبع عليها وبعد بفسقه عن كل خير . لذا يسمى كل من تمرد من جني ، وانسي ، وحيوان شيطانا . قال سيبويه : العرب تقول تشيطن فلان اذا فعل فعل الشياطين .

والشيطان مثل للخسة والدناءة ، والكفران ، وعدم الوفاء والتمرد والعصيان ، والفساد والافساد ، والسعي بين الناس بالغيبة والنميمة والوشاية المفسدة لصفاء المحبات والمكدرة لصفو العائلات ، القاضية على السعادات ، ما دخل بيتا وخرج منه الا ترك وراءه الخصومات والكدورات والآلام .

ولنسمع للقرآن العظيم اذ يصف عمل الشيطان فيقول :

« انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » ؟

فاذا استعاذ المسلم من الشيطان الرجيم فقد استعاذ من كل هذه المعاني المنحطة والتجأ الى الله ليجنبه الزلل والعثار في مسالك الشيطان اللعين المطرود من رحمة الله . وكل من اتصف بمثل هذه الصفات الشيطانية فهو شيطان رجيم قذر أفاك أثيم عتل بعد ذلك زنيم ، وشياطين الانس في هذا الزمن ربما يفوقون شياطين الجن نعوذ بالله من مكرهم وغدرهم ، وافكهم وضلالهم . فليحذر الناس مزالق الشيطان فانها متعددة وخطيرة جدا ، وليعلموا بأن شياطين الانس تجب(١) عليا مصانعتهم ومداراتهم لعلهم عن غيهم ينتهون ، وعن افكهم يتجنبون ويبتعدون ،

(١) المجلة : لا تدري هل مصانعة شياطين الانس واجب كراى الاستاذ الفاضل أو هو مدعاة لزيادة طغيانهم ؟

والى حظيرة البشرية الاصيلة الصافية يعودون .

قال تعالى : خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين .. وقال عز وجل : ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون . وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون » .

شيطان الانس يصانع ، ويداري ، عله يرجع الى اصل طبعه وصفاء نفسه ، فينزجر ويرتدع عما هو عليه وليتب الى الله ويتوب .

اما شيطان الجن فيستعاذ بالله منه ومن شره وافكه فانه لا يؤثر فيه جميل ، ولا تنفع معه المداراة والمصانعة فهو شرير بطبعه لا يكفه عن هذا الشر الا الذى خلقه عز وجل لذا نستعيد بالخالق من هذا الشيطان الرجيم ، وخلاصة معنى : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اى : أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرنى في دينى أو دنياى ، أو يصدنى عن فعل ما أمرت به ، أو يحثنى على فعل ما نهيت عنه ، وأن يجنبنى الله أخلاق الشياطين ، ويبعد عنى صفاتهم ويباعد بينى وبينهم ومن استجار بالله اجاره الله ، ومن استنصر بالله نصره الله ، ومن توكل على الله كفاه الله ، ومن استعاذ بالله اعاذه الله ، ومن استهدى بالله هداه الله . والله هو الغنى الحميد وهو على كل شيء قدير .

— يتبع —

نهضة المملكة

اصدرت سفارة المملكة العربية السعودية في روما كتيبا مصورا بالالوان باللغتين الايطالية والانجليزية قامت بتوزيعه على كافة الجامعات والهيئات العلمية والمدارس والمكتبات الايطالية بشتى انحاء ايطاليا وذلك بقصد اطلاع الرأى العام الايطالى على ما وصلت اليه المملكة من ازدهار في السنين الاخيرة .

والكتيب جهد مشكور وموفق لاعطاء صورة مشرقة عن المملكة في عهدها الحاضر وعن الانجازات الكبيرة التى تم تحقيقها على يدى خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فيصل ، وهو بغيرشك دعاية طيبة للمملكة في الخارج ، ومساهمة فعالة في التعريف بالنهضة الاصلاحية لدى العالم الخارجي يشكر من اجلها سعادة سفير المملكة في ايطاليا الشيخ عبد الرحمن الحليس .